ورقة تحليليّة:

واشنطن وطهران .. تقاطع المصالح في الشرق الأوسط

صابر النفزاوي

(كاتب سياسي)

المختصر:

تشي السياسة الخارجيّة الأمريكيّة في الشرق الأوسط بمرور فكرة "الفوضى الخلاقة"التي تحدثت عنها كوندوليزا رايس ذات يوم من عام 2005 إلى مرحلة التنفيذ لتعبيد الطريق لشرق أوسط جديد نظّر له منظّرون كُثر على غرار هانتنغتون وحديثه عن" فجوة الاستقرار "(1) و مايكل ليدين الذي يُعدّ مطوّر البعد العملي لما يُسمّى" التدمير البنّاء"عام 2003 دون أن نذهل عن المحاضر والخبير الاستراتيجي بوزارة الدفاع الأمريكية توماس بارنيت وثنائيته الشهيرة: القلب والثقب (2) ، لكنّ مفهوم الفوضى الخلاقة (وليس المصطلح) لم يكن وليد السنوات الأخيرة بل يعود إلى بداية التسعينيات بعد سقوط الاتحاد السوفياتي ، فمنذ تلك الفترة بدأت الآلة الأمريكية تدور في ذلك الاتجاه، *وفي غياب منظّمة إقليمية فاعلة ومنظومة أمنية موحّدة أو حتّى رؤية استراتيجيّة واحدة يواجه الأمن القومي العربي تحدّيات جمّة نزعم أنّ أخطرها على الإطلاق هو ذلك التقاطع في المصالح بين الولايات المتحدة الأمريكية والجمهورية الإسلاميّة الإيرانيّة*، دون أن يخلوَ الأمر من "عمليات ابتزاز" مسيَّجة بخطّ المصالح المشتركة كتلك الّتي عرفتها مرحلة ما بعد سقوط صدّام حسين في العراق من خلال نشر الميليشيات الشيعية على طول البلاد وعرضها تحت شعار "مقاومة الاحتلال الأمريكي" من أجل إجبار "العقل الاستراتيجي الأمريكي" على مزيد أخذ طهران بعين الاعتبار في تريتيباتها الإقليميّة (المقبلة) !..

مقدّمة:

لعلّه من نافلة القول أن نتحدّث عن طهران وواشنطن كلاعبين استراتيجيين في تلك الرقعة الجغراسياسية التي سمّاها" تاير ماهان"منذ عام 1902 ب"الشرق الأوسط"، فكلاهما يملك أجندته الإقليمية الخاصة ويعمل على تنفيذها بما تيسّر له من وسائل، لكنّ

ذلك يجب ألا يحجب عنّا التقاءهما في الهلال الخصيب وخصوصا في العراق بما هي نقطة ارتكاز جيواستراتيجي باصطلاح "رقعة الشطرنج الكبرى" لبريجنسكي،فالهلال الشيعي الذي عبّر الملك الأردني عبد الله الثاني عن مخاوفه منه عام 2004 قد تحقق بعدُ بوصول جواد المالكي إلى السلطة في بغداد ،بل تحقق ماهو أبعد من "التثليث الشيعي" بسقوط صنعاء في يد الحوثيين وقد وقفنا على تهاون الأمريكان مع حدث جلل كالذي وقع هناك حيث اكتفت واشنطن بإطلاق دعوات نمطيّة إلى استرداد الشرعية وهو ما يشي بوجود"تقاسم مغانم" بينها وبين طهران ..

أوجه تقاطع المصالح بين واشنطن وطهران:

من شأن هذا "التفاعل الجيوبوليتيكي الثنائي"أن يُثمر إيرانيًّا التضييق على السعودية والاقتراب من مضيق مهم تمر منه معظم الصادرات النفطية الخليجيّة[مضيق باب المندب] ،فيما تحقّق واشنطن تقدما ملموسا على عدة أصعدة من بينها الملف السوري وتأمين مسار تنفيذ الاتفاق النووي النهائي مع طهران زائد تحجيم مساعيها الهادفة إلى تعزيز ترسانتها العسكريّة فضلا عن احتواء خطر الجماعات السنيّة "المتطرّفة" في بلد يتركّز فيه تنظيم القاعدة بشكل فاقع حتى غدا ذريعة مثالية للحوثيين حتى يبسطوا نفوذهم ويسعدوا باليمن "السعيد"كما سُعد حزب الله بلبنان ، دون أن نذهل بطبيعة الحال عن المساهمة الإيرانية في تنشيط سوق الأسلحة في الولايات المتحدة (3) حيث تساهم لوبيات السلاح في رسم سياستها الخارجية ، وحسبنا أن نشير في هذا السياق إلى أنّ أضخم صفقات الأسلحة أُبرمت مع دول الخليج العربي وتأتي قطر والسعودية والإمارات والعراق على رأس قائمة دول الشرق الأوسط المستوردة للسلاح الأمريكي تحت عنوانيْن كبيرين :تنظيم الدولة الإسلامية وإيران ، فالدوحة التي تصدّرت القائمة عام 2014 عقدت صفقة قيمتها 11 مليار دولار فى شهر جويلية 2014 استوردت بموجبها 10 بطاريات صواريخ باتريوت من الإنتاج الأمريكى إضافة إلى 24 مروحية مقاتلة من طراز أباتشى و500 قذيفة مضادة للدبابات طراز "جافلين"، وشكّلت "عاصفة الحزم" مناسبة مثالية لبيع الأسلحة ، وأحيلكم

هنا على ما قاله نائب وزير الخارجية الأمريكي" أنتوني بلينكين]"يوم 07 أفريل 2015] عندما أشار من الرياض إلى أنّ بلاده [سارعت] إلى تقديم إمدادات عسكرية لدول التحالف الذي تقوده السعودية ضد الحوثيين في اليمن !!.. وحين نتحدّث عن سقوط الضلع اليمني والمربع الإيراني في المنطقة العربية فليس ذلك من قبيل الكلام المرسل أو الحذلقة الكلامية،فقد صرّح مندوب مدينة طهران في البرلمان الإيراني علي رضا زاكاني بأن العاصمة اليمنيّة صنعاء صارت العاصمة العربية الرابعة التابعة لإيران بعد بغداد ودمشق وبيروت ،بقي أن ألفت نظركم إلى أنّ المسؤول الإيراني المقرب من المرشد علي خامنئي قد أصدع بهذا الكلام قبل سقوط القصر الرئاسي في صنعاء !.. غير أنّ مشروع التشييع أو تعزيز المد الشيعي لم يتحقق بعد ولن يتحقق دون العراق الركن الركين من منظومة الأمن القومي الخليجي فضلا عن رمزيته الإسلامية التاريخية، لذلك رأينا تنسيقا إيرانيا أمريكيا من أعلى مستوى في هذا البلد بعد سقوط بغداد عام 2003 حيث تمّ تغليب الوجود الشيعي على تركيبة الجيش"العراقي" الجديد كما تمّ سياسيا تعزيز دور شخصيات تدين بالولاء لطهران ،إلى الحدّ الذي دفع نائب الرئيس الإيراني الأسبق محمد علي أبطحي إلى المجاهرة بالقول: "إن أمريكا لم تكن لتحلم بغزو العراق أو أفغانستان لولا دعم إيران.! "

غنيّ عن البيان أنّ إيران ليست شيعية فقط هي أيضا فارسية وعندما نقول فارسية نعني بذلك بكلّ بساطة هي عدو أيضا وعلى نحو ما للعرب لا للسنة فقط ،فنحن إزاء مدّ مزدوج بوجه شيعي وآخر فارسي يتوسّل في الكثير من الأحيان بأدوات "اختراق ناعم" تأتي في القلب منها "المراكز الثقافية الإيرانية"التي تتصدّى لمهمّة التشييع تحت غطاء التزاور السياحي والتبادل الثقافي خصوصا في الفضاء المغاربي دون أن نذهل بطبيعة الحال عن توظيف الأنشطة الخيرية لتمرير أجندات "التبشير"أو "التجنيد"الاستخباري في الصومال وجيبوتي وحتى جزر القمر ، فقد استغلت طهران المجاعة التي أنهكت الصوماليين عام 2011 لتعلن عام 2012 إعادة العلاقات الدبلوماسية بموقديشو حيث أقدمت مؤسسة الخميني التطوّعية على افتتاح فرع لها ..

كيف ستستفيد أمريكا لو تحقّق المشروع الإيراني؟؟؟:

بشكل مباشر لن تربح الكثير ..لكن إذا علمنا أنّ إيران ستقدّم تنازلات ذات علاقة بملفات مفصلية سنقف على حجم المكاسب التي يمكن أن تحققها واشنطن،دعونا نلق نظرة على كتاب ":التحالف الغادر :التعاملات السريّة بين إسرائيل و إيران و الولايات المتّحدة الأمريكية" للكاتب" تريتا بارسي "أستاذ العلاقات الدولية في جامعة "جون هوبكينز"لفهم المبنى وإدراك المعنى،يكشف هذا الكتاب المهم عن وثيقة سرية خطيرة أرسلها الإيرانيون للأمريكان بُعيد الغزو الأمريكي للعراق عام 2003 وفيها تعرض طهران يد المساعدة للمساهمة في بناء ما يسمى:"الشرق الأوسط الجديد"،ونقرأ في الوثيقة السرية المماط عنها اللثام تنازلات رهيبة من الجانب الإيراني لخّصها منتدى "اللجنة العالمية لنُصرة خاتم الأنبياء صلى الله عليه وسلّم"في النقاط التالية :

-1عرض إيران استخدام نفوذها في العراق لـ (تحقيق الأمن و الاستقرار, إنشاء مؤسسات ديمقراطية, و حكومة غير دينية).

-2عرض إيران -شفافية كاملة-لتوفير الاطمئنان و التأكيد بأنّها لا تطوّر أسلحة دمار شامل، و الالتزام بما تطلبه الوكالة الدولية للطاقة الذرية بشكل كامل و دون قيود. 3-عرض إيران إيقاف دعمها للمجموعات الفلسطينية المعارضة و الضغط عليها لإيقاف عملياتها العنيفة ضدّ المدنيين الإسرائيليين داخل حدود إسرائيل العام 1967.

-4التزام إيران بتحويل حزب الله اللبناني إلى حزب سياسي منخرط بشكل كامل في الإطار اللبناني.

-5قبول إيران بإعلان المبادرة العربية التي طرحت في قمّة بيروت عام 2002, أو ما يسمى "طرح الدولتين" و التي تنص على إقامة دولتين و القبول بعلاقات طبيعية و سلام مع إسرائيل مقابل انسحاب إسرائيل إلى ما بعد حدود 1967.

والمفاجأة الكبرى في هذا العرض كانت تتمثل باستعداد إيران الاعتراف بالكيان الصهيوني كدولة شرعية!!.. ويأتي تمدّد تنظيم "الدولة الإسلامية" في منطقة الهلال الخصيب كورقة ضغط جديدة تستخدمها واشنطن ضد طهران ليس من باب العداء بل من باب تحسين شروط التفاوض حول المكاسب المشتركة..طهران قد تجد نفسها في لحظة ما في وارد اختيار بين التخلي عن الأسد والاتفاق على بديل مقبول من الطرفين أو مواجهة جماعة سلفية شديدة التطرف والتسلّح قد تقرع أبوابها يوما ما ،ومنذ سقوط الاتحاد السوفييتي بدأت الآلة الأمريكية تدور في ذلك الاتجاه عبر بذر بذور الفوضى التي سمّتها كوندوليزا رايس ذات يوم من عام 2005 ب"الخلاقة"أو "البناءة"،ولم تكن أمريكا تريد من إيران أكثر من مباركة رؤيتها الجديدة للشرق الأوسط ،فلم تكن تبغي القضاء على القوة الإيرانية بقدر ما كانت وماتزال تروم تطويع تلك القوة لمصلحتها ولو على حساب المصالح العربية ..

التعاطي الأمريكي مع الثورة الإيرانية:

عندما اندلعت الثورة الخمينيّة عام 1978 لقيَت دعما غربيا منقطع النظير لأسباب عديدة منها طبيعة المذهب الشيعي نفسه القائم على أدبيّات جاذبة للغرب على غرار المرجعيّة العليا التي تتيح للقوى الغربيّة التواصل مع جهة واحدة وتسيطر على الجماهير أو على قطاع واسع منها عبْرها وهو ما رأيناه مع الغزو الأمريكي للعراق عندما تمّ تدجين الشيعة من خلال فتاوي الانبطاح التي أطلقها المرجع الشيعي آية الله السيستاني، كذلك علينا ألا نغفل عن مسألة مفصلية وهي العداء الشيعي المزدوج للعرب ولأهل السنة والجماعة من منظور شيعي-صفوي ومن منظور فارسي ،ولا ننسى في هذا السياق أنّ قطاعا واسعا من هؤلاء سنة وعربا متمركز في فضاء جغرافي يُعدّ نقطة تركّز للمصالح الجيو-استراتيجيّة الغربيّة حيث الثروة والموقع ، بما يعني أننا بصدد "أعداء مشتركين"،وجاءت القمة الخليجية الأمريكية (كامب دايفد) الأخيرة (2016) لتعضد هذه الرؤية حيث لم يظفر الخليجيون بأي "ضمان" مكتوب من واشنطن ..!

علاوة على ما تقدّم هناك مسألة مهمّة نرى ضرورة الإشارة إليها وهي تلك المتعلّقة بسعي الأمريكيين آنذاك إلى احتواء المد الثوري "الإسلامي"وقوْلبته بما يتماشى والمصلحة الغربية فضلا عن محاولة تسويق صورة الغرب المتصالح مع الشرق والصليب المتسامح مع الهلال، إضافة إلى رؤية -ثبت خطؤها- في ما بعد تدور حول امتصاص الزخم الإسلاموي واحتوائه في فترة اتّسمت ببوادر صعود للجماعات الجهادية ولاسيما في مصر من خلال بروز جماعة المسلمين ["التكفير والهجرة"] ،ربما نكون بهذا قد تعرّضنا إلى أهم أسباب إحجام إدارة الرئيس الأمريكي جيمي كارتر عن دعم الشاه في أواخر عام 1978 وانخراط أبرز وسائل الإعلام الغربيّة في تقديم الثوار الإسلاميين كمجموعة من "الديمقراطيين"المضطهدين يقودهم شيخ حكيم عانى من ضيْم المنافي وهو آية الله روح الله الخميني ..!

"تقاطع" بدأ مع الخميني وتعزّز بعد وفاته :

في الحقيقة تتقاطع المصالح بشكل لافت بين الدولة الشيعية و الولايات المتحدة الأمريكية وهذا التقاطع تعزّز وتكرّس بعد وفاة الخميني ، حتى أصبحت طهران فيما بعد ورقة مهمة في لعبة المقايضات الإقليميّة وشيئا فشيئا بدأ السياسيّ يطغى على الدينيّ في ظلّ تبلور نموذج "ولاية الفقيه" الشامل لجميع مناحي الحياة (ولاية عامة) ، وحتى سطوة رجال الدين على رجال السياسة هي في النهاية سطوة مسيّسة (بكسر الياء ونصبها) وليس أدلّ على ذلك من تصريحات المرشد الأعلى للثورة الإسلامية علي خامنئي ،فعندما يقول المرجع الإيراني الأعلى:"أنا أؤيّد تمديد المحادثات النووية "يمكننا القول إننا إزاء تحوّل مُذهل في الموقف لأنّ خامنئي كان دائم الإشارة إلى حُرمة التّراجع عن البرنامج النووي قيْد أُنْمُلة !!..،ونحن هنا لسنا أمام إعمال لمبدأ"التقيّة"الشهير بقدر ما نقف على تعاط سياسي بامتياز ، ويكفي أن يكون المرشد صاحب الحلّ والربط في الملف النووي الايراني لنتأكّد من طغيان السياسة على الدين خاصة إذا علمنا أنّ الإمام الأكبر الخميني كان يُعارض أيّ مشروع نوويّ من منطلق دينيّ مبدئي، حتّى الاتفاق المتوصّل إليه في هذا الشأن عام 2015 فقد أصدر معهد العلوم والأمن الدولي في واشنطن تقريرا كشف فيه عمّا تضمّنه نصّ الاتفاق من "تواطؤ

غربي" يتيح لطهران "التقدّم"على الصعيد النووي(4)، وحتى ما يبدو من انعطافة أمريكية قد تطرأ في عهد الرئيس الجديد دونالد ترامب (الّذي كثيرا ما يتحرّش بثوابت السياسة الخارجية الأمريكية وتصوّرها الاستراتيجي للمنطقة) فإنّها لن تستهدف قلب العلاقة بين واشنطن وطهران بل إنّها (في صورة حصولها) ستتعلّق أساسا بتفاصيل الاتّفاق مراجعة لا إلغاءً مراعاة لمطالب الكيان الصهيوني القلق جديًّا من السياسة النووية لإيران لأنّه لا يضمن بقاء النظام في مأمن من التغيير الثوري نظرا لاقتراب الدولة (على عكس ما تبدو عليه من عنفوان) من عتبة "الفشل" فشل محتمل تحدّث عنه عالم الاقتصاد الإيراني "جاويد أصفهاني" في مقال له بمجلة "السياسات الخارجية" الأمريكية معدّدا فيه أسباب إدراج بلاده في المرتبة 38 في قائمة الدول الفاشلة عام 2009 بعد أن كانت في المرتبة 49 في عام 2008 !، وما نراه اليوم من سجال حاد والتلويح بتسليط عقوبات لا يرتقي في حقيقته إلى مستوى الخلاف العميق بين الطرفين والدليل على ذلك التقاء موقف الرئيس الأمريكي المنتخب مع الموقف الإيراني في سوريا على أرضية استبقاء "الأسدية. ! "

وكأنّ لسان حال الدوائر الاستخبارية الأمريكية وقتها استشعرت مع "بوكان"أنّ "الجمهورية الاسلامية في إيران ليست الا امتدادا للبهلوية التي ثارت عليها ولكن بعمامة وعباءة"، والاحتجاج بالدعم الأمريكي للعراق في حربها ضد إيران لإثبات استهداف واشنطن للثورة الإيرانية ليس في طريقه لسبب بسيط وهو أنّ الولايات المتحدة دعمت طرفيْ النزاع في حرب الخليج الأولى (5) ،، والعدوان الثلاثيني على العراق بعد ذلك أكبر دليل على أنّ المستهدف الرئيس هو العراق خاصة أنّ غزوه للكويت جاء بإيحاء -أو استدراج أمريكي(6) ،، فالأمريكيون لم يسعوا إلى وأد الثورة الإيرانية لكنّهم عملوا على تقليم أظافرها بتوريطها في صراع إقليمي "مثمر" ، وحتى "مسرحية" أزمة الرهائن الشهيرة فقد ثبت في ما بعد أنّها كانت في سياق مؤامرة للإطاحة بكارتر نسج خيوطَها "وليم كيسي" مدير حملة "رونالد ريغن"(أصبح مديرا للسي بي ايه في ما بعد) الذي اتّفق مع ممثلي حكومة إيران الثورة على إرجاء إطلاق سراح الرهائن إلى ما بعد الاستحقاق الانتخابي وكان ذلك في لقاء سري انعقد بمدريد (7) ..

ووفقا لما كشفته صحيفة"وول ستريت جورنال"في عدد الثلاثاء 02 أوت (2016) عمدت واشنطن إلى إرسال نحو 400 مليون دولار إلى طهران بداية هذا العام (2016) على نحو سريّ ، ولم يُعرف بشكل قاطع ما إذا كان المبلغ فعلا هو فدية لإطلاق سراح الأمريكيين الأربعة المحتجزين لدى إيران أم كان فعلا في إطار صفقة أسلحة تسلّمت الولايات المتحدة ثمنها مسبقا قبل إلغاء الصفقة مع نجاح الثورة عام 1979 دون أن نُقصيَ بطبيعة الحال فرضية المساعدة تحت الطاولة لمخلب القط الأمريكي في الشرق الأوسط ، ومهما يكن من أمر فإنّ حقيقة إرسال أموال الجانب الايراني على متن طائرة شحن أمريكية إلى بشكل سرّي يرسم عدة نقاط استفهام حول حقيقة العلاقات بين البلدين ..!

كما تجدر الإشارة إلى أنّ مشروع قانون "جاستا"(العدالة ضد رعاة الإرهاب Justice – Against Sponsors of Terrorism Act)الذي دفع به الكونغرس ذو الأغلبية الجمهوريّة يدلّل في وجه من وجوهه على مدى التقارب الأمريكي الايراني ، فرغم ثبوت تورّط طهران المباشر في أحداث 11 سبتمبر) محكمة نيويورك الفيدراليّة أكّدت تسهيل المخابرات الايرانية وحزب الله لتنقّل المنفّذين إلى افغانستان (إلا أنّ تأثرها بالقانون المرتقب القريب من التحقّق في عهد الرئيس (الجمهوري) "ترامب" لن يكون بمقدار تأثّر الرياض به باعتباره يُتيح أساسا لأسر الضحايا المطالبة بالتعويضات من الدول التي ينتمي إليها المنفّذون حيث إنّ 15 من أصل 19 هم سعوديون !

كما لا يفوتنا أن نشير إلى أنّه في أواخر عام 2013 نشرت صحيفة "نيويورك تايمز"الأمريكية خريطة مستقبلية للشرق الأوسط الكبير تُظهر تفكك 5 دول عربية إلى 14 دويلة وهذه الدول هي المملكة العربية السعودية-اليمن-العراق-سوريا-ليبيا لتبقى إيران الدولة الكبرى الوحدية في الخليج محصّنة من التقسيم في ما يسميه الكاتب "توفيق الحاج ""شرخ أوسخ جديد"، ربما (أو قطْعا) غياب الإرهاب على الأرض الإيرانية (مقارنة بحجم الانخراط الإيراني في حرائق المنطقة) هو عرَض من أعراضه ..هذه الملاحظة جديرة بالوقوف عندها طويلا وعميقا !

مسرحة الصراع ومشهدة العداء:

لاشكّ أنّ الجزء الأكبر من تاريخ العلاقات الأمريكية الإيرانية هو تاريخ "مسرحي" إن صحّ التعبير حيث عمل الطرفان على مسرحة الصراع ومشهدة العداء،فعندما كانت الخناجر الإيرانية "المعمّمة" تصرخ وتلعن "الشيطان الأكبر" كانت الأسلحة الأمريكية تتدفق على طهران في فضيحة إيران كونترا الشهيرة أثناء الحرب مع العراق!..،وكلّما شنّ الكيان الصهيوني عدوانا على غزّة نرى حزب الله الذراع الإيرانية في المنطقة وحامل لواء المقاومة المزعومة لا يحرّك ساكنا ،لطيفا،متسامحا، من"الكاظمين الغيظ"! :..؛لذلك لا نستغرب أن يقول شارون في مذكّراته:" لم أر في الشيعة أعداء لإسرائيل على المدى البعيد ، عدونا الحقيقي هو المنظمات الإرهابية الفلسطينية"(8) ، بل إنّ الرئيس الإيراني حسن روحاني قد أقرّ منذ أشهر قليلة بأنّ عبارة"الموت لأمريكا"ليست إلا شعارا لا غير (9)، في تصديق لما جاء في كتاب "التحالف الغادر"الذي أشار إلى أنّ طهران ليست "خصما لاعقلانيا"يهوى رفع الشعارات الحماسية التجييشية وهو لا يستخدمها إلا لأهداف سياسية تمويهية!!!.. فإيران لا تفعل أكثر من تصوير العدوّ الصهيوني ككيان "مستضعف"تُحدق به الأخطار من كلّ جانب(10) ، وهذه صورة يُراد تسويقها لاستدرار عطف الرأي العام الغربي وتعبيد الطريق للحكومات الغربية التي تحرّكها عقدة الهولوكوست بقدر ما تحرّكها المصالح لكيْ ترسل "مساعداتها"من مال وسلاح فضلا عن "صرف"مواقف التأييد والدعم لآخر نظام عنصري استئصالي حلولي في العصر الحديث، فقد أكّد "بيرسي"في كتابه الشهير (المذكور آنفا) أنّ إطار الخلاف بين إسرائيل وإيران لا علاقة له بالإيديولوجيا بل هو مجرد صراع استراتيجي "قابل للحل ، وبالفعل ،لم تمنع ذروة الزخم الثوري "الإسلامي"الإيرانيين من إبرام صفقات عسكرية سرية مع الكيان الصهيوني أثناء حرب الخليج الأولى ، صفقات كشفتها فضيحة إيران كونترا ، ونرى اليوم بلاد الرافديْن الواقعة تحت الاحتلال الرافضي تتناثر على أرضها مكاتب "متابعة" (استخبارات) صهيونية مطلقة اليد تصول وتجول بتنسيق مع طهران ،، ثمّ ما الذي يجعل "الفرس" يدعمون القضية الفلسطينية بهذا الزخم

المزعوم وهم يعتقدون أنّ المسجد الأقصى في السماء الرابعة على حدّ زعْم معظم علماء الشيعة وعلى رأسهم "الكُلَيْني" في "الكافي"(11) !..

بقيَ أن نشير إلى أنّ رئيس اللجنة الفرعية لشؤون الأمن القومي التابعة لمجلس الشيوخ رو ندي سانتيس قد أكّد في نوفمبر 2017 أنّ إدارة أوباما قامت بتدريب الميليشيات التابعة لإيران في العراق كما كشف عن وجود تعاون وثيق مع "فيلق القدس".

خطأ التمييز الصارم بين "المحافظين" و"الإصلاحيّين:

ورغم هذا وذاك ، مازال بعض العرب يميّز بسذاجة بين المحافظين والإصلاحيين في إيران ويعتبر هاجس التمدّد الفارسي لا يسكن إلا المحافظين والمتشددين من أصحاب العمائم السوداء،والحقيقة أنّ النزوع الإمبراطوري الإيراني يحرّك الجميع ، فهو ثابت من ثوابت السياسة الخارجية الإيرانية الذي يشبه إلى حد كبير ذلك الحلم الصهيوني ب"إسرائيل الكبرى"، .. فقد نقلت وكالة أنباء الطلبة الإيرانية "ايسنا "عن علي يونسي مستشار الشؤون الدينيّة للرئيس الإيراني"الإصلاحي"حسن روحاني حديثَه عن عودة الإمبراطورية الفارسية وعاصمتها بغداد!!، وهذا التصريح المدوّي الذي أدلى به يونسي في كلمته أمام مؤتمر حول الهويّة عُقد في طهران منذ أشهر لا يكشف بقدر ما يؤكّد سذاجة الاعتقاد في راديكاليّة المحافظين دون غيرهم ويقيم الدليل أنّهم جميعا في السوء سواء .. فزاكاني "المحافظ"الذي أعلن صنعاء عاصمة رابعة لإيران أوْ النائب المتشدّد حسين شهرياري الذي قال ذات يوم من عام 2012 إنّ البحرين هي المحافظة رقم (14) لإيران بديا بتصريحيْهما شديديْ الاعتدال أمام التصريح "الإصلاحي "الأخير ،، وعندما تسمح وزارة الإرشاد الإيرانية بتوزيع أغنية (راب) تحمل عنوان"اقتل عربيا" فذلك يعني ببساطة أنّنا إزاء سياسة عداء مكتملة الأركان يرسمها مزاج فارسي عام يناهض عرب الداخل (الأحوازيين) قبل عرب الخارج ، وهو شعور غالب أكّده المفكر الإيراني صادق زيبا في حوار مع صحيفة إيرانية ("صبح آزادي") نشر موقع "العربية" فحواه ، وحتى "تقاسم الأدوار" دبلوماسيا كثيرا ما يثير السخرية لتهافته بسبب حدّية خطاب المحافظين ، فكيف

نصدّق الرئيس الإصلاحي روحاني وهو يستنكر الهجوم على السفارة السعودية في حين أنّ المرشد الأعلى للثورة والحاكم الفعلي للدولة الصفويّة علي خامنئي يتوعّد بتمريغ أنف الرياض في الوحْل ..!!

خاتمة:

طبعا لم تكن هذه المواقف والوقائع مجرّد حوادث معزولة بل هي في حقيقتها جزء من سياق رسمي غير معلن يجد بعض أركانه في كتاب "مقولات في الاستراتيجيّة الوطنيّة" الذي صاغ فيه المفكّر الإيراني محمد جواد لاريجاني ما عُرف ب"نظريّة أمّ القرى"ولم يكن لاريجاني يتحدث عن "مكّة المكرّمة" بل كان مدار حديثه هو "إيران " ،وممّا ورد في هذا المؤلّف المثير للجدل ما يلي نصّه :" "إنّ دول العالم العربي ستصبح في نهاية المطاف بمثابة مقاطعات ستدين بالولاء للوليّ الفقيه في طهران بالسمع والطاعة والانقياد"(...)إنّ مسؤولية إنجاز هذه المهمّة يقع على عاتق أم القرى لأنّها الدولة الوحيدة الجديرة بزعامة العالم الإسلامي لأنّها الوحيدة التي تملك النظام الإسلامي الصحيح والحقيقي.. ! "

ورغم الإخراج المتقن لمسرحية العداء الأمريكي الإيراني المعلن إلا أنّ أداء الممثلين يبدو على قدر كبير من الابتذال والرداءة ليس لضعفِ في الموهبة بل لتعقّد الأدوار ..فشخصية" عبادي" مثلا مطالبة بأن تبدو عراقية بنكهة أمريكية إيرانية ؛ شيعية بنكهة سنية ؛ فارسية بنكهة عربية ، هذا "التمزّق"العلائقيّ بدا واضحا في معارك الفلوجة (2016) حيث نشر موقع "سكاي نيوز عربية"(الإماراتي) صور المعمّمين وهم في غرف العمليات جنبا إلى جنب مع قادة الحشد الشعبي دون أن نذهل عن تقدّم الميليشيات الشيعية بغطاء جوي أمريكي ، فلكل من طهران وواشنطن ثأر معلّق من مدينة قاومت الأمريكيين ببسالة قلّ نظيرها وكانت ومازالت "الشوكة الديموغرافية"لأهل السنّة في بلاد "مابين النارين..! "

هوامش:

---

(1)- مصطلح عنى به هانتنغتون ذلك البوْن بين ماهو كائن وبين ما يجب أن يكون في المناطق الطرفية الذي يؤدّي مع اتّساعه إلى حالة من الفوضى الناتجة عن التباعد والتنافر المتصاعد بين الشعوب باحتياجاتها الملحة وحكامها بشغف السلطة الذي يسكنهم ، ليهتزّ شيئا فشيئا استقرار النظام فالدولة ،حتى يصبح الوضع ملائما لتدخّل الولايات المتحدة لتعديل الموقف بالتغيير الذي تراه ..

(2) - القلب تمثله الولايات المتحدة وحلفاؤها فيما يشكّل البقية ذلك الثقب (أشبه ما يكون بثقب الأوزون) الذي كشفته أحداث 11 سبتمبر ،ويقول "بارنيت" إنّ على واشنطن أن تعمل على تقليص "الفجوة"[الثقب] في المنطقة العربية من الداخل لا مجرد احتوائها من الخارج وذلك عبر زرع الفوضى والتدخل لإعادة البناء بما يتماشى والمصالح الغربية نظرا لما تتّسم به العلاقة بين الشعوب وحكامها من "تجاف"و"شذوذ" ساهما في توفير بيئة منتجة وحاضنة للإرهابيين ما يجعل الأمريكيين وشركاءهم أمام حتمية التدخّل بطريقة ما لإعادة ترتيب البيت و"تدجين" من فيه..

(3)- الجنرال حسن فيروز آبادي رئيس اركان الجيش الإيراني هاجم عام 2011 دول الخليج واعتبرها دولا معادية لبلاده وادّعي أنّ هذه المنطقة كانت دائما ملكا لإيران.

(4) - حسب وكالة رويترز التي نقلت فحوى التقرير فإنّ الإيرانيين يمكنهم على سبيل المثال لا الحصر"تنقية اليورانيوم المنخفض التخصيب ليصبح عالي التخصيب ويستخدم بالتالي في تصنيع الأسلحة."

(5) - فضيحة إيران كونترا.

(6) - نحيل على كتاب:" بابل المدنسة" لعادل درويش.

---

(7) - نحيل على كتاب "التحالف الغادر."

(8) - مذكّرات شارون – ترجمة أنطوان عبيد – ص 576 .

(9) - في حوار مع برنامج "60 دقيقة"على قناة"سي بي آس."

(10) – *(8)نحيل على مقالنا" حقائق يجب أن تعرفها عن حزب الله!!*
https://sabernefzaoui.wordpress.com/2016/03/07/%D8%AD%D9%82%D8%A7%D8%A6%D9%82-%D9%8A%D8%AC%D8%A8-%D8%A3%D9%86-%D8%AA%D8%B9%D8%B1%D9%81%D9%87%D8%A7-%D8%B9%D9%86-%D8%AD%D8%B2%D8%A8-%D8%A7%D9%84%D9%84%D9%87/

(11)- نحيل كذلك على كتاب "المسجد الأقصى أين ؟!" للعاملي.